أوربا والاسلام

رأي المنار فيما كتبه موسيو ميلي ونشرناه في الجزء الماضي

كتب ذلك الوزير في الاسلام والمسلمين كتابة خير بصير وقد صدق في قوله ان جراثيم الحياة كامنة في الاسلام وان الرجوع الى القرآن بعد تفهمه واستخراج غاره بطرق العلوم العصرية هو الذي يعيد الحياة الى المسلمين ، وان أمة أوربية تتجرد عن أوهامها القديمة وتفهم هذه الحقيقة يمكنها ان تتقدم على غيرها تقدما عجيباً ، وقد نصح لأمته اذ نبهها الى ذلك بقوله بدساتقدم وذلك في آخر مقاله ، فاليوم الذي تشعر فيه فرنسا من ساعد اليد وتسعى في تعليم وتربية الأهالي — ولا نقصد بذلك ان تلزمهم بنظاماتنا بل ان تسير بهم في مناهج التقدم اللائقة لطباعهم — هو اليوم الجميل حسب قول موسيو جوفار الذي تحصل به على أكثر من فتح الممالك اذ به تتحقق لها السلطة على الارواح ، ولكن هل تقبل فرنسا هذه النصيحة وتقدرها قدرها ؟

قرأنا لكثير من علماء فرنسا وساستها كلاما حسناً في الاسلام وأمانيّ حسنة في شأن المسلمين ولكن ما رأينا لذلك تأثيراً حقيقياً فصار أكثرنا يحمل ذلك الكلام وأمثاله على الملاطفة والتمويه ومخادعات السياسة ولكن الكلام المقبول في نفسه اذا سمعه العاقل عن العاقل لا يمكن له ان يسميه تمويها وخداعا . فأنا أعتقد ان جراثيم الحياة كامنة في الاسلام وان رؤساء المسلمين هم الملامون لها من التمو وأعتقد ان دولة أوربية تتمكن من إحياء مملكة إسلامية يعرف لها فضلها جميع المسلمين ويكون لها منهم قوة تجعل لها مكانة عليا في الارض حتى في أوربا نفسها وقد سبق لي كتابة في ذلك . واعتقد ان فرنسا من أقدر الدول الكبرى على ذلك وأحوجها اليه . فكيف يمكن أن اعتقد مع هذا كله ان قول موسيو ميلي مخادعة أو ملاطفة ؟ أنا موقن بصحة كلامه وصدقه وربما كان اعتقادي هذا اقوى من اعتقاده هو ولكني أشك في فقه أمته حقيقة ما يقول وقدرتها على الانسلال من الفهم القديم الذي أشار اليه

يعدون الشعوب الاسلامية من الشعوب الميتة او الضعيفة ولكن منهم من يقول ان جراثيم الحياة كامنة فيها ، ويعدون فرنسا من اعظم الامم الحية ولكن منا ومنهم من يعتقد أن مكروبات الضعف والانحطاط كامنة فيها. فنقول على هذا وذاك ان المسلمين محتاجون الى دولة كفرنسا تساعدهم على الحياة الجديدة في شمال افريقية وان فرنسا محتاجة الى حفظ حياتها القديمة وإمدادها بشعوب قابلة للحياة والقوة كالمسلمين . وان هذا المطلب ممكن في نفسه ولكن فرنسا غافلة عنه لأن القوي العزيز قلما يفكر في حقيقة حال من يراه دونه فهذه عقبة دون المطلب ومن ورائها عقبة اخرى وهي ان الضعيف قلما يؤمن باخلاص القوي له فالمسلمون الى اليوم لا يظنون أن فرنسا تريد بهم خيرا وهم معذورون بهذا وإني أصرح به نصحا لفرنسا ورغبة في حسن التفاهم بيننا وبينها لعل في ذلك فائدة لنا ولها . فما قلته هو الحقيقة وان وجد في المسلمين من أحسن القول في فرنسا كما وجد في الفرنسيين من أحسن القول في المسلمين فتلك الاقوال لم تغير الحقيقة ولا يغيرها مثلها وانما تغيرها الاعمال والمسلمون الذين نسوسهم فرنسا لا يستطيعون ان يستميلوها بعمل اكثر مما هم عليه من الطاعة لها ولكنها هي تستطيع أن تستميلهم وان تملك قلوبهم وأرواحهم كما هي مالكة لابدانهم وأرضهم فهي التي يجب عليها الابتداء بالعمل

ربما يظن بعض المغرورين بقوتهم ان حال الجزائر خفية لا يعرف حقيقتها مسلمو مصر والشام والحجاز وسائر المشرق . الحق أقول لهؤلاء ان تلك الحال ليست مخفية فانا نعرفها ونشعر بشعور أهلها ولكن ما كل ما يعلم يكتب وانما كتبنا الآن هذه الكلمات لما رأينا من بارقة الامل في حسن التفاهم والسعي اليه بالعمل

لا نطلب من فرنسا للمسلمين اكثر مما أشار اليه مسيو ميلي وهو السعي في تعليمهم وتربيتهم بالقيد الذي ذكره والشرط الذي اشترطه وهو ان يكون القصد تقدمهم بما يلائم طباعهم لا إلزامهم بنظامات فرنسا وعاداتها فضلا عن شرائعها ودينها فالمطلوب مساعدتهم على احياء لغتهم ودينهم وإبقاء ثروتهم مع تعليمهم العلوم والفنون العصرية بالتدريج الملائم لحالهم

يسهل هذا على فرنسا اذا قنعت من الاستعمار والاستملاك بما دون تحويل

المسلمين عن لغتهم ودينهم ورقية بلادهم ولها بعد ذلك من موارد الثروة ومصادر القوة ما شاءت مع الرضى والحب

يعلم كل الملمين بأحوال السياسة من المسلمين أن فرنسا طامعة في الاستيلاء على المغرب الاقصى وتأليف أمبراطورية افريقية اسلامية وأهل الرأي منهم يعلمون ان شجاعة أهل المغرب واستبسالهم لا يدفعان عنهم ما تريده فرنسا بهم مع جهلهم وتفرقهم وكون بأسهم بينهم شديداً ولكن سياستها اليوم بمثل ما ساست به الجزائر في الماضي قديراها المغرورون أمراً يسيرا وهي في الحقيقة من أعسر الأمور وأشدها تعقيداً وخطراً على فرنسا في المستقبل ويظن المغرورون ان تغيير السياسة في الجزائر تغييرا صوريا كاف في إرضاء المسلمين في تلك البلاد واقناعهم في سائر البلاد بأن فرنسا تريد توفيقهم مع المحافظة على دينهم ولغتهم . والحق انه لا يفيد في الامر الا الاخلاص في العمل وهو لا يخفى على أحد

أقول هذا لفرنسا وانا ناصح أمين ، وإنما أنصح لها لاعتقادي أن في مصلحتها هذه خيراً للمسلمين بل أعتقد ان فرنسا لو جعلت لاهل الجزائر والياً منهم لكانت فائدتها من ذلك أكبر من فائدتهم فهل تلومني أمة الحرية اذا صرحت لها باعتقادي هذا وما قبني عليه بعض هذا الجزء من المنار أن يصل الى الجزائر كلا بل أظن أنها تقدر كلامي قدره فان لم تقدره اليوم فلا بد ان تقدره في يوم آخر

بل نحن نعلم أن فرنسا ما رضيت بأن يكون سلطانها على تونس سلطان حماية لا سلطان امتلاك رسمي الا لما استفادته من الهجرة بمحال الجزائر التي نعرفها نحن وهي أعرف بها منا . ولكن ما عملته في تونس منتقد من وجوه كثيرة والمذنة بما فيه من اصلاح اكبر منه . وقد شكرنا لها في هذه الايام ما كان من التفتيش عن حملة الانلام ، وإنشاء مجلس الشورى وان كان دون المرام ، فعسى أن يكون هذا بدء سياسة مثلى يشكرها لها الاسلام ،،